﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: 1 - 3]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

تتجلَّى مناسبةُ الآيةِ الثّالثةِ للثّانيةِ في أنَّهُ ﷻ بعدَما ذكرَ الفُتونَ لأجلِ الإيمانِ؛ ذكرَ ما يوجِبُ تسليةَ المؤمنين، فقالَ: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَحَسِبَ﴾: (حسب) أصولٌ أربعةٌ، والحساب: جمعٌ منتشرٌ في حيِّزٍ حتى يُمتلأَ، ويُكتفى به، فإذا لم يُمتلأْ؛ لم يكن كافيًا، فمن الأوَّل: العدد (الحساب)، ومن الثاني: الكفاية (الحسب)، ومن الثالث: الظن (الحِسبان)، والحِسبة في الأمر: التدبُّر والنظر فيه، وهو يتحسَّب الأخبار؛ أي: يتحسَّسها، ويطلبها، ومن ذلك حَسَبَهُ كذا، أي: ظنَّه، واستحضر ذلك في رأسه[2]، والمعنى في الآية الكريمة: أظنَّ النّاسُ.

2) ﴿يُفۡتَنُونَ﴾: (فتن) أصلٌ يدلُّ على الابتلاءِ والاختبارِ[3]، ومِنْ ذلكَ: الفَتْنُ، وهو إدخالُ الذَّهَبِ النّارَ؛ لتظهرَ جَوْدتُهُ مِنْ رداءتِهِ[4]، والفَتّانُ: الصّائغُ؛ لإذابتِهِ الذَّهَبَ والفِضَّةَ في النّارِ[5]، واستُعمِلَ الفَتْنُ في إدخالِ الإنسانِ النّارَ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣﴾ [الذّاريات: 13][6]، والفِتْنةُ أيضًا: اضطرابُ الحالِ وقَلَقُ البالِ مِنْ حدوثِ شرٍّ لا مَدْفَعَ لهُ[7]، والفِتْنةُ: الضَّلالُ، والإثمُ والمعصيةُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَا فِي

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 26، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 203.
(2) السمين، عُمدة الحُفّاظ، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المُفردات: (حسب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فتن).
(4) الجوهري، الصحاح: (فتن).
(5) الزبيدي، تاج العروس: (فتن).
(6) الراغب، المفردات: (فتن).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 213.

﴿ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ [التوبة: 49]، ويُقالُ: أعوذُ باللهِ مِنَ الفَتّانِ، وهو الشَّيطانُ[1]؛ لكونِهِ يَفْتِنُ النّاسَ بخِداعِهِ وغُرورِهِ وتزيينِهِ المَعاصيَ[2]، والمراد بقوله تعالى في الآية: ﴿وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾: لا يُختبَرونَ، فيُمَيَّز خبيثُهم مِنْ طيِّبِهم.

3) ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ﴾: (علم) أصلٌ صحيحٌ واحِدٌ يَدُلُّ على أثر بالشيء يتميَّز به عن غيره[3]، والعلم نوعان، الأوَّل: إدراك ذات الشيء، ويتعدّى لمفعول واحد، كقولِهِ تعالى: ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال: 60]، والثاني: إدراك صفة الشيء إثباتًا أو نفيًا بعد إدراك ذاته، وهو يتعدّى إلى مفعولَيْن، كقولِهِ تعالى: ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ [الممتحنة: 10][4]، وأمّا ما اشتهر عند اللُّغويّين وغيرهم بأن العلمَ ضدُّ الجهل أو نقيضه[5]؛ فمجازٌ مُرسل علاقته السببيَّة؛ لأنَّ الجهلَ في أصل الاستعمال اللغوي ضدُّ الحلم، ولمّا كان الحلم أصلًا ووصفًا يتميَّز به العالم؛ قوبل الجهلُ بكل من الحلم والعلم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الابتلاءُ سنَّةُ اللهِ في عبادِهِ المؤمنينَ

أظَنَّ الَّذينَ أجرَوا كلمةَ التوحيد على ألسنتِهم، وأظهروا القولَ بالإيمانِ أنَّهم يُترَكونَ بذلكَ، ولا يمتحنون، بل يمتحنُهم اللهُ بأنواعِ المِحَنِ، حتَّى يبلوَ صبرَهم، وثباتَ أقدامِهم، وصحَّةَ عقائدِهم؛ ليتميَّزَ المُخلِصُ مِنْ غيرِهِ[6]، ولقد اختبَرْنا أتباعَ الأنبياءِ مِنَ الأمم السابقةِ، وأصَبْناهم بأنواعِ البأساءِ والضَّرّاءِ، فصبَروا، وعضّوا على دينِهم بالنَّواجذِ، فابتلَيْنا بني إسرائيلَ بفرعونَ وقومِهِ، وأصابَهم منهُ

(1) الزمخشري، أساس البلاغة: (فتن).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (فتن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علم).
(4) الراغب، المُفردات: (علم).
(5) الخليل، العين، والزّبيديّ، تاج العروس: (علم).
(6) الزمخشري، الكشاف: 3/ 439.

البلاءُ العظيمُ، وابتلَيْنا مَنْ آمنَ بعيسى ﷺ بمَنْ كذَّبَهُ، وتولَّى عنهُ، لا جرمَ لَيُصيبَنَّ أتباعَكَ - أيُّها النبي - أذًى شديدٌ ممَّنْ خالفَهم، ولَيُظهِرَنَّ اللهُ الصّادقينَ منهُم في إيمانِهم مِنَ الكاذبينَ، ولَيُجازينَّ كلًّا بما يستحقُّ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

براعةُ الاستهلالِ بالحروفِ المُقطَّعةِ:

التَّنبيهُ لِما سيُذكَرُ مِـنَ التَّكاليفِ والفُتونِ

الحكيمُ إذا خاطبَ مَنْ يكونُ محلَّ الغفلةِ، أو مَنْ يكونُ مشغولَ البالِ أو مَن يعارضه، فلا يؤمن بقوله، فإنَّه يُقدِّمُ على الكلامِ المقصودِ شيئًا غيرَهُ؛ ليلتفتَ المُخاطَبُ بسببِهِ إليهِ، ويُقبلَ بقلبِهِ عليهِ، ويلزمه الحجة بذلك، ثمَّ يشرعُ في المقصودِ، والسّوَرُ الَّتي أوائلُها حروفُ التَّهجّي معظمُها في أوائلها ذِكْرُ الكتابِ أو التَّنزيلِ أو القرآنِ؛ لأنَّ القرآنَ عظيمٌ، والإنزالَ لهُ ثقلٌ، والكتابَ لهُ عِبْءٌ، وكلُّ سورةٍ في أوَّلِها ذكرُ القرآنِ والكتابِ والتَّنزيلِ قُدِّمَ عليها مُنبِّهٌ يوجِبُ ثباتَ المُخاطَبِ لاستماعِهِ.

انـــفـــرادُ الاستـهـلال في سورة العنكبوت

وأمّا هذهِ السّورةُ؛ فافتُتِحَتْ بالحروفِ المُقطَّعةِ، وليسَ فيها الابتداءُ بالكتابِ والقرآنِ؛ لأنَّ ثِقَلَ القرآنِ إنَّما يكون بما فيهِ مِنَ التَّكاليفِ والمعاني، وهذهِ السّورةُ فيها ذكرُ جميعِ التَّكاليفِ، حيثُ قالَ سبحانَهُ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، يعني: لا يُتركونَ بمُجرَّدِ ذلكَ، بل يُؤمَرونَ بأنواعٍ مِنَ التَّكاليفِ[2]، وقيلَ: افتتاحُ هذهِ السّورةِ بالحروفِ المُقطَّعةِ يُؤذِنُ بأنَّ مِنْ أغراضِها تحدّيَ المشركينَ بالإتيانِ بمِثْلِ سورةٍ مِنَ القرآنِ[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 7.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 23.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 200.

بلاغةُ الاستفهامِ في ﴿أَحَسِبَ﴾:

كثرةُ المعاني تبعًا لكثرة أغراضِهِ

الاستفهامُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، ليسَ على حقيقتِهِ؛ لصدورِهِ عن عالمِ الغيبِ والشَّهادةِ الَّذي لا يَخفَى عليهِ شيءٌ، وقد اختُلِفَ في غرضِهِ: فقيلَ: هو للتَّقريرِ والتَّوبيخِ[1]، وقيلَ: هو للإنكارِ[2]، وهو في كلِّ ذلك مُشرَبٌ بالتعجُّب.

سرُّ التَّعبيرِ بالحِسْبانِ دونَ الظَّنِّ:

ملاءمةُ الحِسْبانِ لسياقِ الإنكارِ

عُبِّرَ بالحِسْبانِ دونَ الظَّنِّ في قولِهِ تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، ولم يقل: (أظنَّ النّاسُ)، لأنَّ الحِسْبانَ كما قيلَ: أنْ يحكمَ لأحدِ النَّقيضَيْنِ مِنْ غيرِ أنْ يُخطِرَ الآخرَ ببالِهِ، والظَّنَّ: أنْ يُخطِرَ النَّقيضَيْنِ ببالِهِ، فيُغلِّبَ أحدَهما على الآخرِ[3]، وسياقُ الآيةِ للإنكارِ، والحِسْبانُ أنسبُ بهِ؛ لأنَّهُ يُفيدُ أنَّ النّاسَ حَكَموا أنَّهم لا يُفتنونَ، ولم يخطر ببالِهم أنَّهم قد يُفتَنونَ، فيكونُ الإنكارُ أبلغَ، ولأنَّ الحِسبان مبنيٌّ على حساب غير مكتمل الجوانب، بينما الظنُّ مبنيٌّ على مطلق الحدس والتخمين بين جهتَيْن.

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿أَحَسِبَ﴾:

تصويرُ الشَّيءِ المعنوي بشيءٍ حسيٍّ لتقريبِهِ إلى الأذهانِ

(حَسِبَ) بكسرِ السّينِ في الماضي: فعلٌ مِنْ أفعالِ القلوبِ أخواتِ (ظنَّ)، ومصدرُهُ الحِسْبانُ بكسرِ الحاءِ، وأصلُهُ مِنَ الحِسابِ بمعنى العَدِّ، فاستُعمِلَ في الظَّنِّ؛ تشبيهًا لجَوَلانِ النَّفْسِ في استخراجِ علمِ ما يقعُ بجَوَلانِ اليدِ في الأشياءِ لتعيينِ عددِها، ومِثْلُهُ في ذلكَ فعلُ (عدَّ) بمعنى: (ظنَّ)[4]، وهذهِ النُّكتةُ - كما لا يخفَى - مبنيَّةٌ على أنَّ الحِسْبانَ بمعنى الظَّنِّ، لا على التَّفرقةِ بينَهما.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 323، والشوكانيّ، فتح القدير: 4/ 221.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 263، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 338.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 128، وحقّي، الفروق، ص: 148.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 314، 20/ 202.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في ﴿أَحَسِبَ﴾:

الدَّلالةُ على تحقُّقِ الحِسْبانِ ووقوعِهِ

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ عزَّ شأنُهُ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الحِسْبانَ أمرٌ قد تحقَّقَ، ووقعَ، ورسخَ في أذهانِهم وعقولِهم، ولذلكَ استحقّوا الإنكارَ والتَّوبيخَ عليهِ.

دلالةُ التَّعريفِ في ﴿ٱلنَّاسُ﴾:

إرادةُ عمومِ المؤمنينَ

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بالنّاسِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ كلُّ الَّذينَ آمَنوا[1]، أو المُرادُ مَنْ نزلَتْ فيهم الآيةُ[2]، وباقي المؤمنين بالقياس عليهم، وقيلَ: المُرادُ: المنافقونَ[3]، والاحتمال الأخير بعيدٌ؛ لأنَّ السورة مَكيَّة، ولم يكن بمكَّة نفاقٌ.

نكتةُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿ٱلنَّاسُ﴾:

الإشارةُ إلى الاضطرابِ أو النسيان

عُبِّرَ في قولِهِ تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ بالناس - والنَّوسُ أصلُ اشتقاقِه كما قيلَ - إشارةً إلى أنَّ فاعلَ ذلكَ مُضطربُ العقلِ، مُنحرفُ المزاجِ[4]، أو الإشارة إلى نسيان هؤلاء ما أصاب أصحاب الأمم السابقة من الابتلاء الشديد، على أنَّ ألفاظ (الإنسان) و(الناس) مشتقَّة من النسيان مع وجود قلبٍ مكاني في كلمة (الناس).

سرُّ التَّعبيرِ بالمصدر المؤوَّل:

الجمعُ بين دلالة الفعل والمصدر في وقتٍ واحدٍ

قال الله ﷻ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، ولم يقل: (أحسب الناس تركهم غير مفتونين لأجل قولهم: آمنّا، أو أحسب الناس أن قولهم: آمنّا سيكون سببًا في تركهم غير

(1) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 222، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 202.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 338.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 338.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 385.

مفتونين)، ليجمعَ بين دلالة الفعل والمصدر في وقت واحد، أمّا دلالةُ الفعل؛ فهي التَّجدُّد والاستمرار، وأمّا دلالةُ المصدر؛ فهي الثَّبات والتوكيد والمبالغة مع الحدث دون النظر إلى الزمان.

نكتةُ بناءِ ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾ و﴿يُفْتَنُونَ﴾ للمفعولِ:

الاستغناءُ عن ذِكْرِ من لا يؤبه به

جاء بناءُ فعلَي: ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾ و﴿يُفْتَنُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ للمفعولِ دون ذِكْرِ الفاعلِ؛ لإظهارِ أنَّ الفاعلَ قومٌ ليسوا بمؤمنينَ، أي: أنْ يُترَكوا خالينَ عن فُتونِ الكافرينَ إيّاهم؛ لِما هو معروفٌ مِنَ الأحداثِ قُبيلَ نزولِها، ولِما هو معلومٌ مِنْ عادةِ النّاسِ أنْ يُناصِبوا العداءَ مَنْ خالفَهم في مُعتقَداتِهم، والمعنى: (أحَسِبَ الَّذينَ قالوا: آمنّا أنْ يتركَهم أعداءُ الدّينِ دونَ أنْ يفتنوهم؟)[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾:

استمرارُ التَّركِ لهُم وتجدُّدُهُ دونَ فتنةٍ واختبارٍ

جيءَ بفعلِ التَّركِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ مضارعًا؛ للدَّلالةِ على أنَّهُ في ظنِّهم وحِسْبانِهم استمرارُ التَّركِ لهُم وتجدُّدُهُ دونَ فتنةٍ واختبارٍ.

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾:

الإشارةُ إلى حصولِ المَقولِ في الأمرِ نفسِه

المرادُ بالنّاسِ في قولِه تعالى ذِكْرُهُ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: كلُّ الَّذينَ آمنوا، فالقولُ كنايةٌ عن حصولِ المَقولِ في الأمرِ نفسِه، أي: أحَسِبَ النّاسُ وقوعَ تركِهم؛ لِأنْ يَقولوا: آمنّا[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَقُولُوٓاْ﴾:

المؤمنُ مُعرَّضٌ للفُتونِ

جيءَ بفعلِ القولِ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ مضارعًا؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ القولِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 203.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 202.

واستمرارِهِ منهُم، وفي ذلكَ مزيدُ توبيخٍ لهُم؛ لِما يفيدُهُ الكلامُ مِنْ أنَّ التَّركَ لا يكونُ، وإنْ تجدَّدَ منهُم قولُهم: آمنّا[1]، فالمؤمنُ مُعرَّضٌ للفُتونِ، ولا يُكتفَى منهُ بالتَّلفُّظِ بألفاظِ الإيمانِ.

لطيفةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿ءَامَنَّا﴾:

توبيخ مَنْ يظنُّ أنَّ المؤمنَ لا يُفتَنُ في دينِهِ

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الإيمانِ ووقوعِهِ، وفي ذلكَ مناسبةٌ لمقامِ توبيخِ مَنْ يظنُّ أنَّ المؤمنَ لا يُفتَنُ في دينِهِ؛ لِما في صيغةِ الماضي مِنَ الإشعارِ بفَرْطِ وثوقِهِ بما هو عليهِ مِنَ الدّينِ.

بلاغةُ الواوِ في ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾:

الواوُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ للحالِ، والجملةُ حالٌ من الضَّميرِ في ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾، أي: لا يَحْسَبوا أنَّهم متروكون وسالمونَ مِنَ الفتنةِ؛ إذا آمَنوا[2].

دلالةُ تقديمِ ﴿وَهُمْ﴾ على ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾:

إفادةُ تقوّي الحكمِ بعدمِ الفتنِ

قُدِّمَ المُسنَدُ إليهِ ﴿وَهُمْ﴾ على المُسنَدِ الفعليِّ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ لإفادةِ تقوّي حكمِ عدمِ الفَتْنِ، ووجهُ التَّقوّي: أنَّ في قولِهِ: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ نسبةَ عدمِ الفَتْنِ إليهم، وفي ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾ ضميرٌ يرجعُ إلى ﴿وَهُمْ﴾، فيفيدُ الكلامُ نسبةَ عدمِ الفَتْنِ إليهم مرَّتيْنِ، كأنَّهُ قيلَ: وهم لا يُفْتَنونَ، وهم لا يُفْتَنونَ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفَتْنِ في ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾:

الإشارةُ إلى الاضطرابِ وتشتُّتِ البالِ

المرادُ بالفَتْنِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: فسادُ حالِ النّاسِ بالعُدوانِ والأذى في الأنفُسِ والأموالِ[3]، وقد عُبِّرَ بلفظِ الفَتْنِ؛ لأنَّهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 386.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 386، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 203.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 203.

لفظٌ يجمعُ معنى اضطرابِ أحوالِ إنسانٍ وتشتُّتِ بالِهِ بالخوفِ والخطرِ على الأنفُسِ والأموالِ على غيرِ عدلٍ ولا نِظامٍ[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ:

الدَّلالةُ على استمرارِ انتفاءِ الفَتْنِ وتجدُّدِهِ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ المنفيِّ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على استمرارِ انتفاءِ الفَتْنِ وتجدُّده بحسَبِ ظنِّ النّاسِ؛ لأنَّ صيغةَ المضارعِ تفيدُ الاستمرارَ، فإذا دخلَ عليهِ النَّفيُ؛ أفادَ استمرارَ الانتفاءِ وتجدُّدَهُ.

بلاغةُ الواوِ في ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾:

كثرةُ المعاني بكثرة الاحتمالات الإعرابيَّة

إن كانت الواوُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ واوَ الحال، كانت الجملةُ حاليَّةً، وهذهِ الجملةُ حالٌ مِنْ فاعلِ ﴿أَحَسِبَ﴾، أو فاعلِ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾، فإذا كانَ حالًا مِنْ فاعلِ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ دخلَ في حيِّزِ مُتعلَّقِ الحِسْبانِ المُنكَرِ، أي: أحَسِبوا ألّا يكونوا كغيرِهم، وليسَ لهُم أُسْوةٌ بالأممِ السّالفةِ؟.

وإذا كانَ حالًا مِنْ فاعلِ ﴿أَحَسِبَ﴾؛ كانَ حالًا مُقرِّرةً لجهةِ الإنكارِ، أي: أحصلَ الحِسْبانُ، والحالةُ هذهِ؟[2].

وإن كانت الواوُ للاستئنافِ؛ فالجملةُ استئنافيَّةٌ[3]، وما بعدها كلامٌ مُستأنَفٌ استئنافًا نحويًّا، أي: ولقد جرت سُنَّةُ اللهِ بابتلاءِ أهلِ الإيمانِ في الأممِ السابقةِ.

وإن كانت الواوُ للعطفِ؛ جازَ أن تكونَ عاطفةً لهذهِ الجملةِ على جملةِ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾، وجازَ أنْ تكونَ عاطفةً على جملةِ: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، فتكونَ بمعنى الحالِ، أي: والحالُ قد فتنّا الَّذينَ مِنْ قبلِهم.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 643.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 133، والخفاجي، عناية القاضي: 7/ 90.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 9.

وعلى كونها للاستئناف أو للعطف، فالجملةُ مُعترِضةٌ بينَ ما قبلَها، وما تفرَّعَ عنهُ مِنْ قولِهِ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾، فيجوزُ أنْ تُسمَّى تلكَ الواوُ اعتراضيَّةً[1]، فهذه خمسةُ تقديرات أو خمسةُ معانٍ تتفرَّع على ثلاث احتمالات للواو، وفي هذا من البلاغة ما فيه.

بلاغةُ اللّامِ في ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾:

اللّامُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ واقعةٌ في جوابِ قَسَمٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: (واللهِ لقد فتنّا الَّذينَ مِنْ قبلِهم)، أمّا الإيجاز؛ فلأنَّه حذف المُقسَم به، ودلَّ عليه اللام و(قد)، وأمّا التَّوكيد فلأنَّ القَسَمَ من أقوى المُؤكِّدات.

الإيجازُ بحذفِ المُقسَمِ بهِ، والتأكيدُ بالقَسَمِ وهو من أقوى المُؤكِّدات

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ(قد) في: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾:

حرف (قد) في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ حرفُ تحقيقٍ؛ لأنَّها داخلةٌ على فعلٍ ماضٍ، فتفيد التحقيقَ والتوكيد.

نكتةُ تكرار التأكيد: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾:

تأكيدُ جملةِ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بلامِ القَسَمِ وحرفِ التَّحقيقِ؛ لتنزيلِ المؤمنينَ - حينَ استعظموا ما نالَهم مِنَ الفتنةِ مِنَ المشركينَ، واستبطؤوا النَّصرَ على الظّالمينَ، وذهولهم عن سُنَّةِ الكونِ في تلكَ الحالةِ - منزلةَ مَنْ يُنكِرُ أنَّ مَنْ يخالفُ الدَّهْماءَ في ضلالِهم لا بدَّ أنْ تلحقَهُ منهُم فتنةٌ[2].

تنزيلُ المؤمنينَ منزلةَ المُنكِرينَ

أو أنَّه لمّا كانَ التَّأسّي مِنْ سننِ الآدميّينَ؛ توقَّعَ المُخاطَبُ بهذا الأمرِ الخبرَ عن حالِهم في ذلكَ، فجيءَ بالكلامِ مُؤكَّدًا لمَنْ يظنُّ أنَّ الابتلاءَ لا يكونُ؛ لأنَّ اللّهَ غنيٌّ عنهُ، جاهلًا بما فيهِ مِنَ الحكمةِ بإقامةِ الحُجَّةِ على مقتضَى عوائدِ الخلقِ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 204.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 203.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 389.

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿فَتَنَّا﴾:

الـدَّلالـةُ على تـحـقُّـقِ الـفَـتْنِ ووقوعِهِ

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الفَتْنِ ووقوعِهِ، فهو عادةٌ جاريةٌ للّهِ ﷻ في عبادِهِ المؤمنينَ في كلِّ عصرٍ ومصر.

نكتةُ إسنادِ ﴿فَتَنَّا﴾ إلى نونِ العظَمةِ:

تـعـظـيـمُ شـأنِ الفَتْنِ

أُسنِدَ ﴿فَتَنَّا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى نونِ العظَمةِ؛ لتعظيمِ شأنِ الفَتْنِ وتفخيمِهِ[1]، فهو فعلُ العظيمِ القديرِ سبحانَهُ، الَّذي لَهُ المُلْكُ والأمرُ، وبيدِهِ كلُّ شيءٍ، يفعلُ ما يشاءُ، ويحكمُ ما يريدُ، وقد جعلَ الفُتونَ سُنَّةً جاريةً في خَلْقِهِ[2]؛ لِحِكَمٍ لا يعلمها إلّا هو.

علَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

الـدلالـةُ على العموم

عُبِّرَ بالاسمِ الموصولِ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ للإشارةِ إلى وقوعِ الفتنِ في عمومِ المؤمنينَ في الأممِ السّابقةِ، أي: ولقد فتنّا كلَّ المؤمنينَ الذين قبلهم، بحيث لا ينفكُّ عن ذلك أحدٌ بأيِّ اعتبارٍ من الاعتباراتِ، سواء أكان الابتلاء بالشرِّ أم بالخير.

فائدةُ إثباتِ الجارِّ في ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾:

لمّا كانَ التَّأسّي بالقريبِ في الزَّمانِ أعظمَ؛ أُثبِتَ الجارُّ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أي: مِنْ قبلِ هؤلاءِ مِنْ أتباعِ الأنبياءِ[3].

دلالةُ الظَّرفيَّةِ في: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾:

تعميمُ الفُتونِ في الأممِ كلِّها

يدلُّ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ على أنَّ الفَتْنَ سُنَّةٌ قديمةٌ جاريةٌ في الأممِ كلِّها، فلا ينبغي أنْ يُتوقَّعَ خلافُهُ[4]، والتَّعميمُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 389.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 204.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 389.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 188.

في الأمم كلِّها مُستفادٌ مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ لإطلاقِهِ، وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ النّاسَ لم يُتركوا سُدًى في وقتٍ وإنْ وقعتِ الفترةُ في بعضِ الأحيانِ[1].

غرضُ الإخبارِ بقولِهِ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾:

التَّذكيرُ بما لَحِقَ صالحي الأممِ السّالفةِ مِنَ الأذى

المقصودُ بقولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ التَّذكيرُ بما لَحِقَ صالحي الأممِ السّابقةِ مِنَ الأذى والاضطهادِ، كما لَقِيَ صالحو النَّصارى مِنْ مشركي الرّومانَ في عصورِ المسيحيَّةِ الأولى، وقد قصَّ القرآنُ بعضَ ذلكَ في سورةِ البُروجِ، وحكمُها (فَتْن أهل الإيمان) سارٍ في حالِ كلِّ مَنْ يتمسَّكُ بالحقِّ بينَ قومٍ يستخفّونَ بهِ؛ لأنَّ نُكْرانَ الحقِّ أنواعٌ كثيرةٌ[2]، وفي ذلكَ حثٌّ للمؤمنينَ على أنْ يَصْبِروا صَبْرَ السّابقينَ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفاءِ في ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾:

ترتيبُ الكلامِ بعضِهِ على بعضٍ

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾؛ لترتيبِ ما بعدَها على ما يُفصِحُ عنهُ معنى ما قبلَها مِنْ وقوعِ الامتحانِ[3]، أيْ: يُفتَنونَ، فيعلمُ اللّهُ الَّذينَ صدقوا منهُم والكاذبينَ[4].

بلاغةُ التَّعبيرِ باللّامِ في ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾:

الإيجازُ والتأكيد

اللّامُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ واقعةٌ في جوابِ قَسَمٍ محذوفٍ[5]، والتَّقديرُ: (واللهِ فلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذينَ صَدَقوا)، أمّا الإيجازُ؛ فلأنَّه حذف المُقسَم به، ودلَّ عليه اللامُ ونون التوكيد اللاحقة للفعل المضارع، وأمّا التوكيد؛ فلأنَّ القَسَمَ من أقوى المُؤكِّدات.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 9.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 204.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 30، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 341.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 204.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 30، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 341.

بلاغةُ الجملةِ في: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾:

احتمالُ الكلامِ جملةً من المعاني

ظاهرُ قولِهِ تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أنَّهُ تعالى يعلمُ صِدْقَ الصّادقِ في الإيمانِ وكذبَ الكاذبِ فيهِ بعدَ الامتحانِ، وهذا يوهِمُ أنَّهُ تعالى لا يعلمُ بهِ قبلَ الامتحانِ، والحالُ أنَّهُ تعالى عالمٌ بالأشياءِ كلِّها قبلَ وجودِها وبعدَ وجودِها[1]، وقد اختُلِفَ في توجيهِ الآيةِ، فقيلَ: إنَّ فائدة ذِكْرِ العِلمِ التَّنبيهُ بالسَّببِ على المُسبَّبِ، وهو الجزاءُ، أي: لَيَعْلَمَنَّهم، فلَيُجازيَنَّهم بسببِ علمِهِ فيهم[2]، وهو بذلك كناية عن وعدِ الصّادقينَ ووعيدِ الكاذبينَ؛ لأنَّ العِلمَ سببٌ للجزاءِ بما يقتضيهِ[3].

وقيلَ: المعنى: فلَيتعلَّقنَّ علمُهُ بالامتحانِ تعلُّقًا حاليًّا يتميَّزُ بهِ الَّذينَ صَدَقوا في الإيمانِ، والَّذينَ كَذَبوا فيهِ[4]، فهو مِنْ تعلُّقِ العِلمِ بحصولِ أمرٍ كانَ في علمِ اللهِ أنَّهُ سيكونُ، ولا مانعَ مِنْ إثباتِ تعلُّقينِ لعِلمِ اللهِ تعالى: أحدُهما قديمٌ، والآخرُ حادثٌ، ولا يُفضي ذلكَ إلى اتِّصافِ اللهِ تعالى بوصفٍ حادثٍ؛ لأنَّ تعلُّقَ الصِّفةِ تحقُّق مقتضاها في الخارجِ لا في ذاتِ موصوفِها[5].

وعلى كلٍّ فهو إمّا كناية عن الوعد والوعيد الذي يترتَّب عليهما الجزاءُ، ويمكن أن يكون مجازًا علاقتُه سببيَّةٌ، حيث ذكر السَّبب، وأراد المسبب، فالعلم سبب للجزاء.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾:

علم اللهِ الغيبيَ الحاصلَ في المستقبلِ لا يَعزُب عنه شيء

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ على أنَّ علمَ اللهِ الغيبيَّ الحاصل في المستقبلِ لا

(1) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 10.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 134.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 205.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 188.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 205.

يَعزُب عنه شيء، كما يقتضيه توكيدُ فعلِ العِلمِ بنونِ التَّوكيدِ الَّتي لا يُؤكَّدُ بها المضارعُ إلّا مُستقبَلًا، وهو تعلُّقٌ بالمعلومِ شبيهٌ بالتَّعلُّقِ التَّنجيزيِّ لصفَتَي الإرادةِ والقدرةِ[1].

نكتةُ توكيدِ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ و﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾:

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ بالقَسَمِ ونونِ التَّوكيدِ؛ إشارةً إلى أنَّ أكثرَ النّاسِ يظنُّ الثَّباتَ عندَ الابتلاءِ، وأنَّهُ إذا أخفَى عملَهُ؛ لا يطَّلِعُ عليهِ أحدٌ[2].

أكثرُ النّاسِ يظنُّ الثَّباتَ عندَ الابتلاءِ

سرُّ الالتفاتِ في ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾:

عُدِلَ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ عن طريقِ التَّكلُّمِ إلى طريقِ الغَيبةِ بإظهارِ اسمِ الجلالةِ على أسلوبِ الالتفاتِ؛ لإدخالِ الرَّوعةِ وتربيةِ المَهابةِ[3]، ولِما في هذا الإظهارِ مِنَ الجلالةِ؛ ليُعلَمَ أنَّ الجزاءَ على ذلكَ جزاءُ مالكِ المُلْكِ[4].

إدخالُ الرَّوعةِ وتربيةُ المَهابةِ

وعُبِّرَ بالاسمِ الأعظمِ الدّالِّ على جميعِ صفاتِ الكمالِ - ومنها علمُهُ الشّاملُ سبحانَهُ - التفاتًا عن مَظْهَرِ العظَمةِ إلى أعظمَ منهُ؛ تنبيهًا للنّاقصينَ - وهم أكثرُ النّاسِ - على أنَّهُ تعالى مُنزَّهٌ عن كلِّ شائبةِ نَقْصٍ[5].

علَّةُ التَّعبيرِ بالموصولِ في ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾:

تعريفُ المُتَّصفينَ بصِدْقِ الإيمانِ بالموصولِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾؛ لإفادةِ أنَّهم اشتهروا بصِدْقِ الإيمانِ، وأنَّ صِدْقَهم مُحقَّقٌ[6]، فالصِّلة علَّة الحُكم على الموصول، أو للدَّلالة على علّية ما منه الصِّلة كما يقول المفسِّرون.

اختصاصُهم بأعلى درجاتِ الصِّدقِ وأقواها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 204.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 390.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 30، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 341.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 206.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 390.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 206.

وجاء البيان الحكيم باسم الموصول الخاص بجمع المذكَّر السالم؛ للدلالة على قوة الصِّلة التي أزيل إبهامهم بها، ولاختصاصهم بما في الصِّلة، كأنَّه قال: الذين اشتهروا، واختصوا بأعلى درجات الصِّدق وأقواها.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالماضي في صلة الموصول ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾:

التَّنبيهُ على تحقُّقِ صِدقِهم واشتهارِهم بِهِ

إن نظرنا إلى دلالة الفعل دون النَّظر إلى الزَّمان؛ دلَّ ذلك على وقوع الصِّدق منهم في كلِّ مراتبه دون النَّظر إلى شيء زائدٍ عنه، ولو كانوا في أدنى تلك المراتب أو أعلاها، وكأنَّه يقول: (فليعلمنَّ الله الذين صدقوا، وإن اختلفت مراتب الصِّدقِ فيهم)؛ لأنَّهم لا يمكن، ولا يُتصوَّر أن يكونوا على درجة واحدة في الصِّدق، وهم كثيرٌ.

وإن نظرنا إلى دلالة الفعل وزمانه الماضي ﴿صَدَقُواْ﴾، بعد التَّعبير بالمضارع الدال على الاستقبال ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾، أفاد ذلك تحقُّقَ صدق الإيمان منهم، واشتهارهم به، كأنَّه صفة جِبِلِّيَّة فيهم، وإلى هذه المعاني يشير قول المُفسِّرين: إنَّهُ عبَّر بالماضي؛ ليشملَ الَّذينَ صدقوا في دعواهم الإيمانَ، ولو كانوا في أدنى مراتبِ الصِّدقِ[1]، وقولهم لإفادةِ أنَّهم اشتهروا بصِدْقِ الإيمانِ، وأنَّ صِدْقَهم مُحقَّقٌ[2].

بلاغةُ الوصل في ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾:

اشتراكُهم مع الكاذبين في شمولِ علمِ الله لكلٍّ منهما

الواوُ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ للعطفِ، وهي عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على جملةِ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾، فتفيدُ اشتراكَها معَها في التَّفرُّعِ على الامتحانِ المذكورِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أي: إنَّ علم الله شاملٌ لكلٍّ من الفريقين.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 390.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 206.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾:

الـدَّلالـةُ على الاستقبالِ

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ على أنَّ علمَ اللهِ الغيبيَّ الحاصل في المستقبلِ لا يَعزُب عنه شيء، كما يقتضيهِ توكيدُ الفعلِ بنونِ التَّوكيدِ الَّتي لا يُؤكَّدُ بها المضارعُ إلّا مستقبلًا، وهو تعلُّقٌ بالمعلومِ شبيهٌ بالتَّعلُّقِ التَّنجيزيِّ لصفتَي الإرادةِ والقدرةِ[1].

بلاغةُ تكرارِ فعلِ العِلمِ:

زيـادةُ التَّأكيدِ والتَّقريرِ

كُرِّرَ فعلُ العِلمِ في قولِ الحقِّ عزَّ شأنُهُ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ لزيادةِ التَّأكيدِ والتَّقريرِ[2]، وبيانِ أنَّ علمَهُ تعالى بالكاذبينَ علمٌ مُستقلٌّ، وليسَ تبعًا لعِلمِهِ بالصّادقينَ، كما قد يُتوهَّمُ لو قيلَ: (فليَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذينَ صدقوا والكاذبينَ).

براعةُ المخالفةِ بينَ ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ و﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

زيـادةُ تقبيحِ شأنِ الكاذبينَ

عُبِّرَ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ بصيغةِ الفعلِ، وفي قولِهِ: ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل؛ لأنَّ اسمَ الفاعلِ يدلُّ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ على ثبوتِ المصدرِ في الفاعلِ ورُسوخِهِ فيهِ، والفعلَ الماضيَ لا يدلُّ عليهِ، كما يقالُ: (فلانٌ شربَ الخمرَ)، و(فلانٌ شاربُ الخمرِ)؛ فإنَّهُ لا يُفهَمُ مِنْ صيغةِ الفعلِ التَّكرارُ والرُّسوخُ، بينما يُفهم ذلك من صيغةِ اسم الفاعل، ووقت نزول الآية كانتِ الحكايةُ عن قومٍ قريبي العهدِ بالإسلامِ في أوائلِ إيجابِ التَّكاليفِ، وعن قومٍ مستديمينَ للكفرِ مُستمرّينَ عليهِ، فقالَ في حقِّ المؤمنينَ الَّذينَ صدقوا بصيغةِ الفعلِ، أي: وُجِدَ منهُم الصِّدقُ، وقالَ في حقِّ الكافرينَ الكاذبينَ بالصّيغةِ المُنبِئةِ عن الثَّباتِ والدَّوامِ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 204.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 30، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 341.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 27، وزاده، حاشية على البيضاوي: 6/ 485.

وقيلَ: جاء تعريفُ المُتَّصفينَ بالكذبِ بطريقِ (أل) الموصولة وبصيغةِ اسمِ الفاعلِ؛ لإفادةِ أنَّهم عُهِدوا بهذا الوصفِ، وتميَّزوا بهِ، مع ما في ذلكَ مِنَ التَّفنُّنِ ومراعاةِ الفاصلةِ[1].

بلاغةُ الجمعِ بينَ الصِّدقِ والكذبِ:

مراعاةُ الطِّباقِ بينَ اللَّفظَيْنِ

جُمِعَ بينَ الصِّدقِ والكذبِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ رِعايةً للطِّباقِ بينَ اللَّفظَيْنِ، بحيثُ يكونُ أمامَ القارئِ والسّامعِ صورتانِ متقابلتانِ؛ لأنَّ المُرادَ بالصِّدقِ ثباتُ الشَّيءِ ورُسوخُهُ، وبالكذبِ ارتفاعُهُ وتزلزلُهُ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحِسْبان والظَّنّ:

الظَّنُّ فيهِ تغليبٌ لأحدِ النَّقيضَيْنِ على الآخرِ، والحِسْبانُ لا تغليبَ فيهِ

فُرِّقَ بينَ الحِسْبانِ والظَّنِّ بأنَّ الحِسْبانَ هو أنْ يحكمَ لأحدِ النَّقيضَيْنِ مِنْ غيرِ أنْ يُخطِرَ الآخرَ ببالِهِ، والظَّنَّ أنْ يُخطرَ النَّقيضينِ ببالِهِ، فيُغلِّبَ أحدَهما على الآخرِ[3]، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ الحِسبان مبنيٌّ على حسابٍ غير مكتمل الجوانب، بينما الظنُّ مبنيٌّ على مُطلَق الحدس والتخمين بين جهتَيْن.

الفتنة والابتلاء:

الفتنةُ أعمُّ من الابتلاء في مصدرِها ومُتعلَّقِها

أغلبُ ما تكون الفتنة في المجتمعات، وأغلبُ ما يكون الابتلاء في الأفراد، وأغلب ما تكون الفتنةُ بالتعذيب، والأصل في الابتلاء أن يختصَّ بأهل الإيمان، وأمّا الفتنُ؛ فتستشرف كلَّ الناس، والفتنةُ تكون من اللهِ ومن الناس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: 10]، والابتلاءُ لا يكون إلّا مِن اللّه، والفتنةُ إذا كانت من الناس؛ فتكون بقصد إثارةِ الخلاف والشِّقاق والفساد بين الناس.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 206.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 205.
(3) الراغب، المفردات: (حسب).

الفِتْنة والاختبار:

الاخـتـبـارُ ليس فيه فتنة غالبًا

الفرقُ بينَ الفِتْنةِ والاختبارِ: أنَّ الاختبارَ كالامتحان لكن ليس فيه فتنةٌ، وأصلُ الفتنة عَرْضُ الذَّهَبِ على النّارِ؛ ليتبيَّنَ صلاحُهُ مِنْ فسادِهِ، وتكونُ في الخيرِ والشَّرِّ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: 15]، وقالَ: ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [الجن: 16 - 17]، جُعِلَتِ النِّعمةُ فِتْنةً؛ لأنَّهُ قُصِدَ بها المبالغةُ في اختبارِ المُنعَمِ عليهِ بها[1]، والاختبارُ معرفةُ حالِ المختبرِ والوقوفِ على مخبرِهِ، أي: الحكمُ الذي يقع بكُنْهِ الشَّيءِ وحقيقته، وأغلب ما يُستعمل في العلوم والمعارف بخلاف الفتنة، وثمرة الفتنة لا تظهر للناس غالبًا بخلاف الاختبار.

العِلم والمعرفة:

العِلمُ أعمُّ مِنَ المعرفةِ

الأصل في المعرفة أنَّها تمييزُ ظواهرِ الأمور المرئية: ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [البقرة: 273]، أو المسموعة: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: 30]، سواء بالشَّكل أم بالثياب أم بالكلام أم بغير ذلك، مأخوذة من العُرف الذي ينبتُ على رأس الحيوان أو الطائر، وهي علم بالظاهر، بينما العلمُ تمييز ذوات الأمور وظواهرها، لكن من خلال أثر يدلُّ عليها، وتتميَّز به - كما مرَّ في مادة (علم) - وعليه فيكون العلم أعمَّ من المعرفة.

ومن وجهٍ آخرَ في كون المعرفةِ أخصَّ مِنَ العِلم: أنَّ المعرفةَ عِلمٌ بعينِ الشَّيءِ مُفصَّلًا عمّا سواهُ، والعِلمَ يكونُ مُجمَلًا ومُفصَّلًا[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 396.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 500.

المحتويات

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»